إضاءةٌ على القصَّةِ **(يوضع نصُّ الاستماعِ في دليلِ الأنشطةِ)**

شهدَت شجرةُ البُطْمِ، الَّتي تشمخُ في تلِّ العزيزيّاتِ، فصولَ حكايةِ الأبِ الجنديِّ وابنِه الضَّابطِ الذي عُيِّنَ رئيساً على أبيهِ، واجتمعا في خندقٍ واحدٍ لمقارعةِ العدوِّ الصِّهيونيِّ، وهو أمرٌ ـ لاشَكَّ ـ مُشرِّفٌ لأيِّ أبٍ وابنِهِ، لولا العلاقةُ الشَّائكةُ التي تجمعُ بينهما في التَّراتُبيَّةِ العسكريَّةِ.

تتوالى فصولُ الحكايةِ بتأخُّرِ الأبِ الجنديِّ عن الاجتماعِ، وبعد حديث الضَّابطِ الابنِ وأبيه الجنديِّ حولَ سببِ تأخُّرِه، يأتي المسؤولُ عن المكانِ ويسألُ الابنَ الضَّابطَ مستهجِناً وجودَ الجنديِّ عنده، ثمَّ ينشغلُ بالهاتفِ قبل مجيْءِ الجوابِ الذي لن يأتيَ، وقد وجدَ رسلانُ في انشِغالِ الضَّابطِ الرئيسِ فرصةً للتهرُّب من الجوابِ وكشفِ حقيقةِ أنَّ الجنديَّ هو والدُهُ، ويقعُ الاختيارُ على الجنديِّ الأبِ ليقومَ بمهمَّةِ الرَّصدِ، ويكمُنُ الجنودُ للصَّهاينةِ وتحتدمُ المعركةُ ويتلقَّى الصَّهاينةُ صفعةً قاسيةً، لكنَّ الرَّاصدَ(الأبَ) يبقى في المقدّمةِ ويرفضُ التَّراجُعَ ويصلُ خبرُ جُرحِهِ، فيُحمَلُ إلى تحتِ شجرةِ البُطْمِ التي تشهدُ صُعودَ روحِهِ إلى السَّماءِ، لتبقى الشَّجرةُ بجذعِها العجوزِ وأوراقِها المثقَّبةِ بالرَّصاصِ رمزاً للثَّباتِ والرُّسوخِ في الأرضِ مهما اشتدَّتْ مِن حولِها الرِّياحُ.

المقتطفُ

تحتَ شجرةِ البُطْمِ كانَ أبي يستلقي في نقّالةٍ خشبيَّةٍ،.. نهضَ من النَّقّالةِ ثُمَّ تساءَل مستنكِراً:

لماذا أتيتُ إلى هنا؟ أَلِأُحملُ كالأطفالِ؟!

- مهلاً يا أبي... انتظرْ قليلاً سنرجِعُ الآنَ معاً.
- أرادَ الكلابُ أن يفاجِئوني.. ارفعوا أيديَكُم عن صدري.. لسْتُ جريحاً.. أريدُ ماءً فقط...

وأخذَ يبلعُ ريقَهُ.. والآنَ ماذا تريدُ منِّي؟ لماذا لا تتركُنِي أمضي في طريقي؟ اتركْني أموتُ على السِّلاح... أينَ بندقيَّتي؟ وأَغمضَ عينيه وأَخذَ يُغَمْغِمُ...

- لقد أقسمْتُ في يومٍ ما ألَّا أموتَ إلَّا على السِّلاحِ، وألَّا أهجُرَ رفيقي في المعركَةِ، وأنْ أناضلَ حتَّى الرَّمقِ الأخيرِ.. وأن.. أينَ البندقيَّةُ؟
- ها هي خذْ.
- دعْهَا الآنَ كيما أستريحَ... هل تظنُّني جُرِحْتُ؟ لقد أقسمتُ أنْ أحترمَ أجدادي.. أينَ جَدِّي؟ لقد شَنَقَهُ الأتراكُ، وأينَ جدُّكَ؟ أعدمَهُ الفرنسيُّون.. لقد ماتوا من دونِ أن يتركوا لنا سوى الأملِ، آمالِهم جميعاً.. أينَ المطرةُ؟

وسكبتُ فوقَ وجهِهِ الماءَ، فتنهَّدَ وأطبقَ شفتَيهِ.. وأخذَ ينظُرُ إليَّ:

- لقد ماتَ جدُّكَ من دونِ أن يطلبَ إليَّ أن أبنيَ لهُ قبراً من رُخام، كانَ يريدُني فقط أنْ أُتِمَّ الرِّسالةَ التي بدأَها.

هأنذا لم أمتْ.. ولن أموتَ ما دمتَ أنتَ ولدي، ستسلُكُ الطَّريقَ نفسَها. ورفعَ يدَهُ وتحسَّسَ وجهي.. دعْني أستريحُ ولا تجعلْ لموتي ضجَّةً إنَّنا نفقدُ شرفَ التَّضحيةِ عندما نندُبُ فوقَ رؤوسِ شهدائِنا.. دعْنا نموتُ بصمتٍ فذلك عملٌ خالدٌ.

ورفعَ رأسَهُ ومدَّ يدهُ إلى الأرضِ وغرسَ ساعدَه في التُّرابِ.

- انظرْ إلى هذا التُّرابِ، كنتُ أسكنُ فيهِ فسمعتُهُ يُناديني بِصَمْتٍ إنَّني ظامِئٌ.. اسقِني قليلاً من دمِكَ؟ لأُنبِتَ لكَ شجرةَ الحُرِّيَّةِ...

وضمَّ قبضَتَهُ إلى صدرِهِ وأَطبقَ جَفنيْهِ وغَمْغَمَ: أيَّتُها الشَّجرةُ ضُمِّيني إليكِ أنتِ التي لن تنامي يوماً على نقَّالةٍ.

لا تزالُ شجرةُ البُطْمِ منتصبةً صَامتةً، وتلُّ العزيزيَّاتِ لمْ يَفقدْ سوى قبضةِ ترابٍ أَطبقَ عليها والدي بأصابِعِهِ وظلَّ يَضمُّهَا إلى صدرِهِ الدَّامي وروحُهُ تصعَدُ إلى السَّماءِ.

الصّف السّابع

التقليد الأعمى:

الغراب والعصفور

رأَى الغُرابُ يومًا عصفورًا والنَّاسُ تُقدِّم لَهُ الحُبوبَ والماءَ، ويَنظرُونَ إليهِ في سرورٍ ومتعةٍ ويُطربون عندما يسمعونَ صوتَهُ عندَ الصباحِ وهو يغرِّدُ فوقَ الشَّجرِ، فقالَ لنفسِهِ: لماذا يُحِبُّ النَّاسُ العصفورَ؟ ويُسَرُّون من منظرِهِ وشكلِهِ وحركاتِهِ، ويطربون لصوتِهِ، ولا يهتمُّونَ بي ويبعدونني، ويسخرونَ من سوادي، مَعَ أَنَّني لَسْتُ أقلَّ فائدةً من العصفورِ، فأنا من الطُّيورِ الّتي تنقِّي الأرضَ من الدِّيدانِ التي تأكلُ الزَّرعَ، فأحفظُ لهم بذلك محاصيلَهَم، وهو من الطُّيورِ التي تُتلِفُ الزَّرعَ فتأكلُهُ قبلَ أنْ يَنضَجَ أو عندَ نضجِهِ، وبذلك يَخسرُ النَّاسُ كثيراً بسببِ العصافيرِ، وليس فيه إلا شكلُهُ وخفَّةُ حركاتِهِ؛ فهل هما سِرُّ حُبِّ النَّاسِ لهُ؟

وفكَّرَ كثيراً ليجعلَ نفسَهُ مقبولاً عندَ النَّاسِ، فقالَ لنفسِهِ: أغيِّرُ لوني الأسودَ الّذي يتشاءَمون بهِ، وصوتي الّذي ينفرون من سَماعِهِ، وحركاتي الثَّقيلةِ، فأكونُ خفيفَ الحَركةِ أنتقلُ من غُصنٍ إلى غُصنٍ بخفَّةٍ تَلفِتُ أنظارَهم إليَّ.

وصَبغَ لونَهُ الأسودَ باللّونِ الأبيضِ فصارَ غُراباً مشكَّلَ الألوانِ، وغَيَّرَ من صوتِهِ ليكونَ كصوتِ العصفورِ، فكانَ صوتًا غريبًا، فلا هو بالصَّوتِ المعروفِ عن الغرابِ، ولا بالصَّوتِ المعروفِ عن العصفورِ، وصار يتنقَّلُ بخفَّةٍ ورشاقةٍ محاولاً تقليدَ العصفورِ.

ورآهُ النَّاسُ فَسَخِرُوا من لونِهِ وضحكُوا استِهزاءً بصوتِهِ، وقَهقَهُوا سُخريةً من حركاتِهِ التي لا تناسبُ جسمَه.

وهكذا دفعَ التَّقليدُ الأعمى هذا الغرابَ كي يضعَ نفسَهُ في موقِفٍ لا يناسبُهُ؛ أرادَ أنْ يقلِّدَ العصفورَ قبلَ أن يفكِّرَ في أنَّ للعصفورِ طبيعتَهُ، وأنَّ العصفورَ خلقَهُ اللهُ هكذا ليكونَ أحياناً للزِّينةِ والاستمتاعِ بصوتِهِ وخفَّةِ حركاتِهِ، ولم يَخلُقِ الغُرابَ ليكونَ كالعصفورِ، ولكنَّهُ خلقَهُ لوظائفَ أخرى.

لقد مسخَ الغرابُ طبيعتَهُ بهذا التَّقليدِ، فلم يبقَ كما كانَ غُراباً يَعرِفُ النَّاسُ شكلَهُ وصوتَهُ وعمَلَهُ في تنقيةِ الأرضِ، ولم يُصبحْ عصفوراً كما أرادَ.

وكثيرٌ من النَّاسِ يقلِّدونَ غيرَهم فيما لا يوافقُ طبيعتَهُم، فيفقدونَ شخصيَّاتِهم؛ وكذلك الأمَمُ والشُّعوبُ إذا قلَّدتْ غيرَها بلا تفكيرٍ ووعيٍ ضاعَتْ بينَ ضرورَةِ الانفِتاحِ على العالَمِ وبين التَّقليدِ الأعمى، فكانَ فعلُها كَفعلِ ذلك الغراب.

أوغاريت

(١)

تُعَدُّ سوريَةُ من أغنى بلادِ العالمِ بالمواقعِ الأثريَّةِ، وقد عَرَفَتْ على مَدَى التَّاريخِ جميعَ الحضاراتِ الكُبرى الّتي شَهِدتها بلادُ البحرِ المتوسِّطِ في العصورِ القديمةِ، فإذا كانتِ اليونانيَّةُ والرُّومانيَّةُ والبيزنطيَّةُ والفرنجيَّةُ والعربيَّةُ تشكِّلُ أبنيةً لهَا منَ العناصرِ الهندسيَّةِ وفنونِ الزَّخرفةِ ما يثيرُ إعجابَ النَّاظرِ إليها، فإنَّ هناكَ نوعاً آخرَ من الآثارِ وهو الأنقاضُ العريقةُ في القِدَمِ التي كانتْ مدفونةً تحتَ الأرضِ، وهذه الأنقاضُ لم تظهرْ إلَّا نتيجةَ حفريَّاتٍ منظَّمة.

ومنْ أهمِّ هذهِ الآثارِ المُكتَشَفةِ موقعُ رأسِ الشَّمرةِ، حيثُ ترقدُ مدينةُ أوغاريتَ القديمةِ، فقد عُثِرَ في مدينةِ رأسِ الشَّمرةِ على قطعٍ فنِّيَّةٍ، وكتاباتٍ قديمةٍ، وهذه الأخيرةُ أسفرتْ عن معلوماتٍ غايةٌ في الأهميَّةِ عن الحضارةِ الّتي عرَفَها الشَّاطِئُ السُّوريُّ في الماضي البعيدِ.

ويقع تلُّ رأسِ الشَّمرةِ على بعدِ كيلو مترٍ واحدٍ تقريباً شرقيّ البحرِ الأبيضِ المتوسِّط ، وعلى بعدِ عَشَرَةِ كيلو متراتٍ شماليَّ مدينةِ اللاذقيَّةِ، والحفريَّاتُ الّتي أُجريَتْ في الطَّبقةِ العُليا منْ تلِّ رأسِ الشَّمرةِ تُعطينا فكرةً واضحةً عَنْ حضارةِ أُوغاريت خلالَ القرنينِ الرَّابعَ عشرَ والثَّالثَ عشرَ قبلَ الميلادِ.

(٢)

كانتْ أوغاريتُ مرفأً ذا حركةٍ تجاريَّةٍ على نطاقٍ واسعٍ ، فأدَّى ذلك إلى أن يكون بينَ سُكَّانِها أُناسٌ ينتسبونَ إلى شعوبٍ مختلفةٍ. أمَّا لغةُ هذهِ المدينةِ الَّتي كانَ يتكلَّمُها معظمُ سكَّانِها فهي اللغةُ الأُوغاريتيَّةُ، الّتي كانتْ مكتوبةً بالأحرفِ المسماريَّةِ، وهي مؤلَّفةٌ مِنْ ثلاثينَ حرفاً، وهي أقدمُ أبجديَّةٍ معروفةٍ حتَّى هذا التَّاريخِ، فقد اكتُشِفَتْ لوحةٌ فخاريَّةٌ صغيرةٌ تحملُ أحرفَ أبجديَّةِ رأسِ الشَّمرةِ الثَّلاثين بالتَّرتيبِ الشَّائعِ أيَّامَ أوغاريتَ، وتَبيَّنَ أنَّهُ التَّرتيبُ نفسُه الّذي نراهُ الآنَ في الأبجديَّةِ اليونانيَّةِ والأبجديَّةِ العربيَّةِ: (أبجد، هوز، حطّي، كلمن،...).

وتشبهُ هذه اللُّغةُ اللُّغةَ العربيَّةَ شِبْهاً كبيراً، ليسَ من جهةِ المفرداتِ فحسب، بل في بعضِ التَّعابيرِ وفي صياغةِ الجملِ، إذ إنَّ قواعدَها تطابقُ قواعدَ اللُّغةِ العربيَّةِ على العموم. أمَّا من جهةِ المفرداتِ فقد تبيَّنَ أنَّها تحتوي على ما يقاربُ سبعمئة كلمةٍ نراها نَفسَها في اللُّغةِ العربيَّةِ مثل (نهر، أب، أخ، حلم، كرم،...).

ومن أهمِّ النُّصوصِ الّتي عُثِرَ عليها مجموعةٌ من قصائدَ جميلةٍ مكتوبةٍ باللُّغةِ الأوغاريتيَّةِ، وقد رتَّبها العلماءُ على شكلِ أساطيرَ وملاحمَ، وتُرجِمَتْ إلى عددٍ كبيرٍ من اللُّغاتِ ، ولا تزالُ تَشْغَلُ العلماءَ بسببِ الآفاقِ الجديدةِ الّتي فتحَتْها.

فطنةُ أبي بكرٍ الرّازي

يُحكَى أنَّ رجلاً من بغدادَ كانَ ينفُثُ الدَّمَ، فاستدعى أبا بكرٍ الرَّازيّ الطَّبيبَ المشهورَ بالحِذْقِ، فأراهُ ما ينفُثُ ووصفَ له ما يجِدُ، فنظرَ إلى نبضِهِ وإلى إناءِ الماءِ الذي يحملُه، واستوصفَ حالَهُ، فلم يَقُمْ لهُ دليلٌ على سُلٍّ ولا قَرحةٍ، ولم يَعرِفِ العلَّةَ، فاستنْظَرَ العليلَ لينظرَ في حالِهِ، فاشتدَّ الأمرُ على المَريضِ، وقالَ : هذا يأسٌ لي من الحياةِ لحِذقِ الطَّبيبِ وجهلِهِ بالعِلَّة، فزادَ ألمُه، ففكَّرَ الرَّازيُّ، ثمَّ عادَ إليهِ، فسألَه عن المياهِ الَّتي شربَ مِنها. فقالَ: من حوضٍ كبيرٍ يجتمعُ فيه الماءُ، فثَبُتَ في نفسِ الرَّازي بحدَّةِ خاطرِهِ وجَودَةِ ذكائِهِ أنَّ علَقَةً كانَتْ في الماءِ، وقد استقرَّتْ في مَعِدَتِه، وذلك الدَّمُ مِنْ فعلِها.

فقالَ: إذا كانَ في غدٍ عالجْتُكَ، ولكنْ بشرطِ أَنْ تأمُرَ غِلمانَكَ أَنْ يطيعوني فيكَ بما آمرُهمْ. قالَ: نعم، فانصرفَ الرَّازيُّ، فجمَعَ مِكيالَين من طُحْلُبٍ، فأحضرَهُما في غدٍ مَعَهُ، فأراهُ إيَّاهُما، ثمَّ قالَ له: ابْلَعْ جَميعَ ما في هذين المِكيالَين، فبلَعَ شيئًا يسيرًا، ثمَّ وقفَ. قال: اِبْلَعْ. قال: لا أستطيعُ، فقالَ للغِلمانِ: خذوهُ فثبِّتوه، ففعلوا وفتحُوا فاهُ، فأقبلَ الرَّازيُّ يضعُ الطُّحلُبَ في حلقِهِ ويكبِسُهُ كبسًا شديدًا ويطالِبُه ببَلْعِهِ ويتهدَّدُه بأنْ يضرِبَهُ إلى أَنْ بلَّعَهُ أحدَ المكيالَين كاملاً، والرَّجلُ يستغيثُ ويقولُ: الآن سأتقيَّأُ، فزادَ الرَّازيُّ فيما يكبِسه في حلقه، فغلبَهُ القيْءُ وأخرجَ ما في جوفِهِ، فتأمَّلَ الرَّازي ما أخرجَهُ فإذا فيه عَلَقةٌ، وإذا هي لمَّا وصلَ إليها الطُّحلُبُ قَرُبت إليه وتَرَكَتْ مَوضِعَها، فالتفَّتْ على الطُّحْلُبِ، ونهضُ الرَّجلُ مُعَافىً.

استماعٌ **احترامُ القانونِ** **يوسف جرجس زحم**

-١-

الأرضُ تدورُ دورةً من الغربِ إلى الشَّرقِ في كلِّ أربعٍ وعشرينَ ساعةً، فيكونُ الليلُ والنهارُ، ودورةً كلَّ ثلاثِمئةٍ وخمسةٍ وستِّينَ يوماً، فتتأتَّى عنها فصولُ السَّنةِ؛ وهي: الربيعُ، والصيفُ، والخريفُ، والشتاءُ، وما زالت الطبيعةُ محافظةً بذلك على نظامِها الطبيعيِّ.

أمّا البشرُ فقدْ سَنَّ عقلاؤُهم والمتمدِّنُون منهم أنظمةً لهم؛ لِحفظِ حقوقِهم ومصالحِهم المدنيَّةِ والعمرانيَّةِ والعموميَّةِ والخصوصيَّةِ، وغيرِ ذلك.

فالأنظمةُ المدنيَّةُ والشرائعُ الدّوليَّةُ والقوانينُ العمرانيَّةُ رَافَقَتِ الإنسانَ مُنذُ وُجِدَ، ولَيْسَتْ هذِه الأَنظِمةُ من حاجاتِ البشرِ ولا هي محصورةٌ فيهم فَقَطْ؛ بلْ هي من ضروريّاتِ كلِّ ما نراهُ في هذا الوجودِ.

.٢

ولا يَسَعُ الواقفَ على تواريخِ القدماءِ إلّا التصريحُ بأنّ كلَّ أمَّةٍ حافَظَتْ على نُظُمِها، وسَارَت وَفقَ قوانِينِها حازَتْ مقاماً من المجدِ والعزِّ والرقيِّ، وأنَّ كلَّ مَنْ خالفَ تلكَ الأنظمةِ من تلكِ الأُمَمِ والدُّوِلِ انقلبَ عِزُّها ذُلّاً وهناؤُها شقاءً وارتفاعُها سُقوطاً وتقدُّمُها تأخُّراً.

ويُقال: إنّ دولةَ البابليِّينَ سقطَتْ؛ لأنَّهم غَفَلوا عن واجباتِهم نحوَ الشريعةِ الدوليَّةِ والنِّظام، فهبطوا وخسِروا مملكتَهم العظيمةَ التي أجمعَ المؤرّخونَ القدماءُ على أنَّها سيِّدةُ الممالكِ ودُرَّةُ الأمصارِ.

.٣

وجديرٌ بكلِّ فردٍ يُحبُّ شعبَهُ ويَغارُ على وطنِهِ أنْ يحافظَ على قوانينِ بلادِهِ، فمتى تحسَّنتْ شؤونُ الأفرادِ تحسّنتْ شؤونُ الدُّولِ والشُّعوبِ.

وعلى الإنسانِ رئيساً كان أو مرؤوساً، غنيّاً أو فقيراً، عالِماً أو جاهِلاً أنْ يجدَ في نفسِهِ دافعاً يدفعُهُ إلى المحافظةِ على نِظامِ البلادِ وقانونِها؛ لأنَّ ضرورةَ النظامِ والمحافظةِ عليهِ ضرورةُ الهواءِ والماءِ والشّمسِ والطّعامِ للإنسانِ.

استِماعٌ **الإبداعُ والحَياةُ** **ميخائيلُ نعيمة**

(١)

كانَ من حُسنِ تدبيرِ القائمينَ على مدرستِنا أنَّهم خصَّصوا لنا ساعةً في الأسبوعِ للأشغالِ اليدويَّةِ، وتلكَ السَّاعةُ كانت من أمتعِ السَّاعات عندي، فقد كانَ لنا مَشغلٌ مجهَّزٌ بأحدثِ أدواتِ النّجارةِ والحفرِ في الخشبِ، وتجليدِ الكتب، ولكن كانَ يُسعدني أنْ أنسى نفسي حينَ أنكبُّ بفكري وقلبي وعضلاتي على خشباتٍ في يدي، آناً بالمِنشار، وآونةً بالمنجلِ أو الإزميل، فإذا بها تتحوّل بالتدريج طاولةً أو إطاراً لصورةٍ.

(٢)

ما كان أطيبَ العَرقَ يتصبَّبُ من جبيني! فأمسَحُه بمنديلي أو بيدي مثلما يفعَلُ الفلَّاحُ في حقلِهِ والعامِلُ في مَعمَلِهِ، بل ما كانَ أطيبَ الغِراءَ تتلَّوثُ به يدي! ولماذا؟ لأنِّي أشعرُ بلذَّةِ الإبداع.

إنِّي أصنعُ من أشياءَ جامدَةٍ أشياءَ رائعَةَ الجمالِ، أصمِّمُها من حيثُ الشَّكلُ والقياسُ والغايةُ، فما أنتهي منها حتَّى أعودَ لأتأمَّلَها، فإذا جاءَتْ كما أردتُّها، وكانتْ خاليةً منَ العيبِ، أشاعَتْ في نفسي البَهجةَ والسَّعادةَ، إنَّها بَهجةُ المُبدِعِ وسعادَتُهُ بجمالِ عَملِهِ، مُبدعٌ هو الذي يَصنَعُ المحراثَ، ومُبدعٌ هو الذي يَستَنْبِتُ بالمحراثِ البُقولَ والحُبوبَ والثِّمارَ، ومُبدعٌ هو الذي يسكُبُ الكلماتِ في قوالبَ منَ النَّثرِ أو الشِّعرِ، فإذا بها عُقولٌ تتوهَّجُ بالأفكارِ، وقلوبٌ تنبِضُ بالمشاعِرِ، والإنسانُ وحدَهُ من بين سُكَّانِ الأرضِ أوتيَ القُدرةَ على الإبداعِ، ولا حدَّ لقدراتِهِ ولا نِهاية، فما أعظمَهُ مِنْ مُبدِعٍ!

(١)

يُعَدُّ العالِمُ والطبيبُ علاءُ الدين بنُ أبي الحزمِ الدمشقيُّ المعروفُ بابنِ النفيسِ صفحةً مشرقةً في تاريخِ الت راثِ العلميِّ العربيِّ.

نالَ ابنُ النفيسِ شهرةً كبيرةً بسببِ عملِهِ ومؤلَّفاتِهِ وتجارِبِهِ، واعتمادِهِ على التجرِبةِ والملاحظةِ وتطبيقِ قواعدِ المنهجِ التجريبيِّ في إثباتِهِ الحقائقَ العلميَّةَ من مشاهدةٍ ورصدٍ ومقارنةٍ وملاحظةٍ وإجراءِ تجاربَ، وآمنَ بحريَّةِ القولِ وبضرورةِ الاجتهادِ، ولم يكنْ يخافُ من انتقادِ أخطاءِ كبارِ الأطبَّاءِ القدامى من أمثالِ ابنِ سينا وجالينوس. وكان يأبى على نفسِهِ أنْ يعلِّمَ تلاميذَه آراءً متوارَثةً عن عظماءِ القدماءِ، وهو لا يزالُ يشكُّ في صِحَّتِها، وبفضلِ هذه النَّظرةِ الشُّجاعةِ للعلم تمكَّنَ من دفعِ علمِ الطبِّ إلى آفاقٍ واسعةٍ.

(٢)

تركَ ابنُ النَّفيسِ للمكتبةِ العربيَّةِ مؤلَّفاتٍ كثيرةً في موضوعاتٍ مختلفةٍ، ومن هذه المؤلَّفات: كتابُ الشَّاملِ في الطبِّ، وكتابُ المهذَّبِ في الكُحلِ المجرّبِ، وكتابُ المختارِ من الأغذيةِ، وشرحُ القانونِ، وطريقُ الفصاحةِ؛ وهو كتابٌ في النحوِ وقواعدِ اللغةِ، وصنَّفَ في العلومِ العقليّةِ كتاباً صغيراً سمَّاهُ" فاضل بن ناطق"، دلَّ فيه على قدراتِه وصحَّةِ ذهنِه، وتمكُّنِهِ من العلومِ العقليَّةِ.

كانَ فضلُ ابنِ النفيسِ في الطِّبِّ على الغربِ كبيراً، فكانَ له الفضلُ في اكتشافِ الدَّ ورةِ الدَّ مويَّةِ الصُّغرى، وفي عصره لم تكنِ الاختصاصاتُ في علومِ الطِّبِّ قد تفرَّعَتْ وتبلورَتْ، فلم يكنْ هناك أطبَّاءُ للعينِ بسبَبِ صُعوبةِ أمراضِها والاضطرابِ في عملِ أدويتِها واستعمالِها إلى توفُّر خبرةٍ تامَّةٍ كالتي كانَ عليها ابنُ النفيس.

هذا هو ابنُ النفيسِ الطبيبُ الكحَّالُ الذي نراهُ بارعاً مُبتكِراً مُكتَشِفاً في طبِّ العيونِ مثلما هو في الطبِّ العامِّ، وفي صناعةِ الكِحالةِ التي بلغَتْ على يديهِ مكانةً ساميةً لا تدانِيها مكانةٌ.

استماع	لوحةُ فُسيفساءِ عازفاتِ مريمين	المؤلِّفون

(1)

حكايةُ لوحةٍ وجِدَتْ في حمصَ في قريةِ مَرْيمينَ التي تتوسّطُ مدناً عريقةً تنتمي إلى الحضارةِ السّوريَّةِ القديمةِ، مجسِّدةً مشهداً فَنِّيّاً مُتكامِلاً يصوِّرُ فَنَّ الإنشادِ القديم، وتُعدُّ هذهِ اللوحةُ الفُسيفسائيَّةُ فريدةً في العالمِ؛ لأنَّها الأجملُ والأكثرُ بلاغةً على المستوى الفَنِّيِّ والتَّنفيذيِّ وفي أصالةِ الفكرةِ، وهي تعبِّرُ عن المستويينِ الثَّقافيّ والاجتماعيّ في سوريةَ في القرنِ الثَّالثِ الميلاديِّ، وهذا ما أكسبَها مكانتَها السّاميةَ عالميّاً.

(2)

يتضمَّنُ المشهدُ المركزيُّ في اللوحةِ ثلاثةَ مشاهدَ فَنِّيَّةٍ: الأوَّلُ مسرحُ العرضِ، والثّاني الآلاتُ الموسيقيَّةُ المستعمَلةُ، والثالثُ الشخصيَّاتُ، أمَّا الأداءُ فتنفِّذُهُ ثلاثُ مجموعاتٍ تقومُ إحداها بالرَّقصِ، والثّانيةُ بالإنشادِ، والثالثةُ بالعزفِ.

والمتأمِّلُ لمسرحِ العرضِ يُذهَلُ بجمالِ تنظيمِهِ، وحسنِ بنائِهِ بهندسةٍ فريدةٍ، ركِّزَتْ في بناءِ خشبةِ المسرحِ بطريقةٍ تُتيحُ للصَّوتِ الانتقالَ عبر ثلاثِ فتحاتٍ فخّاريَّةٍ وضِعَتْ في أسفلِهِ. وفي أعلى الخشبةِ رُتِّبَتِ الأدواتُ الموسيقيَّةُ بطريقةٍ متناغمةٍ، وقد تنوَّعتْ من جهازِ (الأورغنِ) والقِرْبةِ المرافقةِ لهُ لضخِّ الهواءِ، والقيثارةِ، والمزاميرِ، إلى الصَّنْجاتِ بنوعيها: (ما يُضرَبُ منها بالعصا، وما يُلبَسُ باليدِ).

(3)

بلغَ عددُ الشّخصيَّاتِ المعروضةِ في المشهدِ، ثماني شخصيَّاتٍ منها ستُّ سيِّداتٍ متقارباتٍ في العمرِ والمظهرِ واللباسِ، يعزفْنَ ويغنِّينَ، وإحداهُنَّ تقودُ الفرقةَ، وطفلانِ مهمَّتُهما الرَّقصُ المتعاقِبُ فوقَ قِرْبةٍ جلديَّةٍ على شكلِ منفاخٍ دائريٍّ متعدِّدِ الحلقاتِ مُمتلِئٍ بالهواءِ بحيثُ تتولَّى عمليَّةُ الضَّغطِ في أثناءِ الرَّقصِ المُتبادَلِ بينَ الطِّفلِ والآخرِ تزويدَ جهازِ الأورغنِ بالهواءِ لمساعدة العازفاتِ في تنفيذِ السُّلَّمِ الموسيقيّ.

ودلَّ مظهرُ النِّساءِ على معرفةِ نوعيَّةِ الألبسةِ التي كانتْ تَرتديها السيِّداتُ في ذلكَ العصرِ، ويدلُّ ذلكَ أيضاً على نوعيَّةِ النَّسيجِ والتَّفصيلاتِ وتزييناتِ الفساتينِ وألوانِها وزخارفِها، أمَّا تسريحاتُ الشَّعرِ فقد عُزِيَتْ إلى (أوتاسيليا) زوجةِ الإمبراطورِ (فيليب العربيّ)، وإلى (هيلين) والدةِ الإمبراطورِ (قسطنطين).

استماع | **حسنُ المكافأة** | **الأبشيهي**[1]

(1)

كانَ هناك رجلٌ صاحبُ شأنٍ دخلَ عليهِ أناسٌ أصحابُ حاجةٍ فقضاها لهُم؛ ثمَّ توجَّهوا لشأنهم، فكانَ آخرُهُم رجلٌ في مقتبلِ عمرِه، وبعد أن تعرّفَ السيّدُ عليه، التفتَ إلى ابنهِ، وقال: يا بنيّ؛ إنَّ لأبيكَ مع والدِ هذا الفتى قصّةٌ، فإذا فرغتُ من شغلي هذا، أخبرتكَ قصَّتهُ.

فلمّا فرغَ مِن شغلهِ قالَ له ابنهُ: أعزّك الله يا أبي، ما قصّةُ الرجلِ الذي وقفَ بينَ يديكَ اليوم؟

فأجابَ الأبُ: حينَ قدمتُ إلى هذه البلادِ كنتُ فقيراً لا أملكُ شيئاً، فاشتدَّ بيَ الأمرُ إلى أن قالَ لي مَنْ في منزلي: إنَّا قد كتمْنَا حالَنا؛ وزادَ ضررُنا، ولنا اليومَ ثلاثةُ أيّامٍ ما عندنا شيءٌ نقتاتُ به! فحزِنْتُ كثيراً.

ثم تذكّرتُ منديلاً من الحريرِ كانَ عندي، فقلتُ لهم: ما حالُ المنديل؟ فقالوا: هو باقٍ عندنا، فقلتُ ادفعوه لي، فأخذتُه، ودفعْته إلى صاحبٍ لي، وقلتُ له: بِعْهُ بما تيسَّر، فباعَه بسبعةَ عشرَ درهماً، فدفعتُها إلى أهلي، وقلتُ: أنفقوها إلى أن يرزقَ اللهُ غيرها!

(2)

ثمَّ بكّرتُ من الغدِ إلى والدِ الرجلِ الذي زارني اليوم. وكان تاجراً كبيراً آنذاك، فإذا الناسُ يقفونَ على بابِ دارهِ ينتظرون خروجَهُ، وعندما خرجَ، رآني وسلَّم عليّ، وقال: كيفَ حالُك؟ فقلت: ما حالُ رجلٍ يبيعُ من منزلِه بالأمس منديلاً بسبعةَ عشرَ درهماً، فنظرَ إليّ نظراً شديداً، وما أجابَني.

فرجعتُ إلى أهلي كسيرَ القلبِ، وأخبرتُهم بما جرى، فقالوا: بئسَ واللهِ ما فعلتَ! توجّهتَ إلى رجلٍ كان يرتضيك لأمرٍ جليل؛ فكشفتَ له سرَّك، وصغَّرتْ عنده منزلتَكَ بعد أن كنتَ عنده جليلاً، فما يراكَ بعدَ اليومِ إلَّا بهذهِ العينِ! فقلتُ: قد قُضِيَ الأمرُ بما لا يمكنُ استدراكُه.

(3)

فلمّا كانَ الغدُ بكّرتُ إلى بابِ هذا التاجرِ، فلمّا بلغتُ البابَ قالَ لي الخادمُ: أين تكونُ؟ قد أمرني سيِّدي بإجلاسكَ إلى أن يأتي. فجلستُ حتّى خرجَ، فلمّا رآني دعاني، وأمرَ لي بدابَّة، فركبْتُ وسرْتُ معه إلى منزله، فلمّا نزلَ قالَ: عليَّ بفلانٍ وفلان، فأُحْضِرا، فقالَ لهُمَا: ألم تشتريا منّي محصولَ القمحِ بمبلغٍ كبيرٍ قالا: بلى، قال: ألمْ أشترطْ عليكما شركةَ رجلٍ معكما؟ قالا: بلى، قال: هذا هو الرجل الذي اشترطتُ شركتهُ لكما، ثمَّ قال لي: قم معهُما.

فلمّا خرجْنا قالا لي: ادخلْ معنا حتى نكلِّمك في أمرٍ يكونُ لكَ فيهِ الربحُ الهنيءُ، فدخلْنا مكاناً، فقالا لي: هل لكَ أن تبيعَنا هذهِ الشراكةَ بمالٍ نعجِّلُهُ إليكَ، فتنتفعَ بهِ، من أن تتعبَ في تصريفِ المحصولِ الذي ستنالهُ من هذهِ الشراكة؟ فقلتُ لهما: وكمْ تبذلانِ لي؟ فقالا: مئةُ ألفِ درهمٍ، فقلْتُ لا أفعل، فزادا المبلغَ إلى أن وصلا إلى ثلاثمئةِ ألفِ درهم، فقلت: حتّى أشاورَ التاجرَ صديقي. قالا: لك ذلك.

وبعد أن عرضْتُ الأمرَ عليه قبلَ عرض الشريكين، ثمّ أمرَ لي بالمالِ كي أحسِّنَ به حالتي قبل أن أبدأ العملَ معه، وأرتقي إلى أن أصبحتُ بهذه الحالة من اليسرِ والشأن.

ولذلك يا بني لو طلبَ ابنُ هذا التاجر الذي حضرَ إليّ منذ قليلٍ نصفَ أموالي لقدَّمْتُها إليه اعترافاً بكرم والدهِ عليَّ فالوفاءُ من شيمِ الصادقين والمخلصين، وهذا ما أردتُ أن أخبركَ به.

المستطرف في كلِّ فنٍّ مستظرف (بتصرُّف)

---

[1] **الأبشيهي**: (852 هـ - 1388 م)، أديبٌ مصريٌّ، صاحب المستطرف في كلّ فنٍّ مستظرف في الأدب والأخبار. درَّسَ الفقه والنحو.